المشرق

البُطاحي والبعوض (١)

نبذة للدكتور الياس الحاج احد التلامذة المتخرجين في مكتبنا الطبي

البُطاحي او داء البطائح مرض وبالي يصيب غالباً الذين يسكنون قريباً من مستنقعات المياه ووطاء الاراضي والبطائح الغائرة. وهو داء قديم ورد ذكرهُ في القسم الثالث من كتاب الاوبئة لبقراط فيصفهُ هذا الطبيب الرئيس كمدوى شائعة في أيامهِ

(انتشارهُ) ومما لا يُنكر انَّ البُطاحي داء يشمل اكثر بلاد المعمور قلما تجد بلداً لم ينلهُ أذاهُ وان تعدَّدت اسماؤهُ على اختلاف مواطنهِ فيدعوهُ البعض حمَّى المستنقعات والبعض داء البطائح ويُعرف في بعض البلاد بالملاريا وفي غيرها بالآفة الوبائيَّة. ومدلولها كلها على مرض واحد

وهذا الداء لم تنجُ منهُ بلادنا الشاميَّة بل تراهُ يفتك في انحائها الشتَّى لا يغلبهُ في كثرة مضارهِ وسوء عقباهُ غير التدرُّن الفاشي في مدننا الكبرى. بيد انَّ انتشار هذا الداء في الغور وسهول الشام اكثر منهُ في سواها فاوض البقاع مثلاً قد نزل فيها هذا الضيف المشؤوم فلم يدع منها قريةً سليمةً كذلك بطحاء عتيق فان المستنقعات التي فيها مركزٌ للوباء تنتشر جراثيمها المُمدية بين اهل تلك الاصقاع (٢

وان توقلتَ مشارف لبنان ترى البُطاحي ضارباً اطنابهُ في قرى يبلغ ارتفاعها

---

١) قد فسَّر حضرة الاب المدقق الفاضل انستاس الكرمليّ معنى هذه الكلمة في المشرق (٢ : ٢٠٩) ورأى انها توافق المرض المعروف بالتيفوس او الحمَّى التيفوئيديَّة. ولعلَّها ادلّ على الامراض الوبائية الناجمة عن وخم المستنقعات التي يدعوها الفرنج (impaludisme) وقد اطلقناها هنا على هذا المعنى الخاص

٢) وقد سمعنا انَّ اصحاب هذا المُلك من وجهاء السراسقة يسعون الآن في تجفيفهِ

نحو الف متر كجزّين وعين تراز وشحتول. وليس اسم « زوق الخراب » سوى اشارة الى فتكاته الذريعة بين اهل تلك القرية واذا توسّمتهم لاحت لك على وجوههم من علامات السُّهام والهزال ما دلّك على ثقل وطأة الداء بينهم

ولا تخلو من البُطاحيّ مدننا الساحليّة. فان جونية مثلاً قد عشّش فيها الداء واذاق اهلها مرّ نكاله. وان اعتبرت بيروت وجدتَ ضواحيها موبوءةً بهذا المرض الذي رسخ قدمهُ من البوشريّة الى نهر بيروت. وترى قريتي الحدث والشيّاح خاضعتين لحكمه. بيد ان بجوار بيروت محلاً آخر يحبّ الاهلون التردُّد اليه ريقضون فيه آونة البسط والراحة ولو نظروا اليه بعين التبصرة لوجدوهُ أوبل مكان واصلحهُ للبُطاحيّ نريد الضبيّة وشواطئ نهر الكلب فان الاصابات الوبائيّة فيها عديدة. والكلُّ يعلمون انَّ في الصيف الماضي ذهب كثيرون من اهل بيروت ضحايا جهلهم لمَّا احبُّوا السُّكنى في تلك الارباض فما مرَّ عليهم زمن قليل حتى صرعهم الداء واتلف حياتهم

(أسباب داء البطاحيّ) لهذا الداء اسباب عموميَّة لا ارى حاجةً الى ذكرها هنا فاضرب عنها صفحاً

وما هو مقرَّر لدى الجميع انَّ بين البُطاحيّ والسهول الغائرة والاراضي الوطيئة علاقةً لا تُنكر. وليس وجود المستنقعات امرًا لازمًا لانتشار الداء. وانما يكفي الحلول في ارض رطبة نديَّة لا تجري فيها المياهُ جريًا منتظماً حتى ترى ثبّت آثار الداء. لانَّ الجراثيم في مثل هذه الامكنة واثقةٌ منمّنةٌ مرفهةٌ لا تنتظر الّا فرصةً مناسبةً لتحمل بخيلها ورجلها على العدوّ فتذيقهُ العلقم

وكان كثير من العلماء ينسبون العدوى لفساد الهواء اذ يتنسّم الانسان جراثيمهُ الوخيمة التي تدخل في رئتهِ وتنتشر من ثمَّ في دمهِ. وزعم غيرهم ان انتقال العدوى يكون بالماء يشربهُ الشارب فيُبلى بتقاعياتهِ الموبوءة

واليوم قد اتّضح لارباب العلم جليًّا انَّ ناقل جراثيم الداء انما هي هامَّة بغيضة لا تكتفي بان تلسعنا بمبضعها حتى تنفث في دمنا هذا السمّ الناقع. وما هذه الهامَّة سوى البعوض (البرغش)

ومما يُذكر فيُشكر انَّ احد اهل بلادنا الدكتور عبد الله جبُّور من اوّل الذين سبقوا فعرفوا علّة الداء وكيفيّة انتقالهِ الى الانسان. وقد رأينا في احد اعداد مجلّة

« الطبيعة » الفرنسويَّة شاهدًا على هذا الامر الناطق بفضل اهل الوطن وهو كتاب ارسلهُ الدكتور الموما اليه الى المقتطف سنة ١٨٨٤ هذه صورتهُ :

لقد شاهدتُ امتداد الحمَّى الملاريَّة في رائيًا مرَّتين في خريف سنة ١٨٧٨ و١٨٨٣ وعلمتُ انَّ من الاسباب الكبرى التي تحمل سمَّ هذه الحمَّى من نبات المستنقعات هو البعوض المعروف بابي فاس. فالشخص الذي تمكَّن البعوض من لسعهِ اصابتهُ الحمَّى الملاريَّة ومن وقى نفسهُ من لسعهِ سلم من هذا الداء. وهذا الامر لا ينكرهُ عاقل في قطر رائيًا. فمن اراد ان يقي نفسهُ من هذا الداء فليمنع لسر يرهِ كلَّهُ تحت دخول البعوض اليهِ في بلاد المستنقعات »

هذا ما كتبهُ احد مواطنينا قبل ١٦ سنة وقد اثبت آخرًا العلمُ الراهن صحَّة قولهِ فبيَّن ما للبعوض في نقل عدوى البطاحي من سوء العمل. ودونك ملخَّص ما توصَّل العلماء في يومنا فاكتشفوهُ بعد الاختبارات المتواترة

كان الاقدمون منذ عهد عهيد يزعمون بانَّ مسبَّب حُمَّى المستنقعات جراثيم حيَّة تدخل في جسم الانسان فتفسدهُ وهو رأي بعض مشاهير الرومان الذين كتبوا بعد تاريخ الميلاد بقليل كفيترورف وثارون وكولومال الَّا انهم لم يمكنهم ان يدلُّوا رأيهم بحجج مقنعة فبقي قولهم حدسًا وتخمينًا

وظنَّ المحدثون انهم وجدوا العدوَّ لمَّا أرتهم النظَّارات المكبرة ما في مياه المستنقعات من الحيَّوانات والنقاعيَّات التي لا يعرف عددها الَّا الله. ومنهم من كان يزعم انَّ هذه الدويبات تنشأ من طحلب الماء فتنبتُ في الهواء وتدخل بالتنفُّس في الرئة ومنها تخرج بالدم. بيد انَّ هذه الآراء كلها كانت بلا سند حتى قام سنة ١٨٨٠ المسيو لفران (Laveran) وبيَّن بادلَّة لامعة انَّ علَّة البطاحي انما هي جراثيم آليَّة من الصنف المعروف عند العلماء باسم بروتوزوار (protozoaires) من فصيلة الهماتوزوار (hématozoaires) وهي غاية في الصغر لا يتجاوز احدها ١٠٠٠/١ من الملمتر مختلفة جدًّا بحركاتها

ولهذه الفصيلة اربعة اصناف ذات صور شتى فمنها ما هو كريُّ الشكل (les corps sphériques) تراهُ كالزجاج الشفَّاف لا لون لهُ يسبح في مصل الدم او يخرج في كريَّاتهِ الحمراء. ومنها ما هو خيطيُّ الشكل فدعوهُ لذلك سوطًا (flagella) وربما تعدَّدت هذه السياط وارتبطت بالجراثيم الكرويَّة السابق ذكرها وبها يمتاز جرثوم البطاحي. وقد ارتأى الدكتور كرخ انَّ هذه الآليات هي الذكور تلتقح

بها الاناث . وبعضها هلالي الشكل في وسطها نكتة سوداء . وبعضها اخيرًا وردي الهيئة يتقسم الى اقسام كروية كشبكة مستديرة

وهذه الجراثيم مع اختلاف صورها تجري في سوء عملها جريًا واحدًا . فانها اول ما تظهر في كريات الدم الحمراء تكون كتجويفات دقيقة ثم تنقطع فتصبح كالسياط ونحوها هذا لا يتم الا بافتقار دم المصاب بها . وقد تحقق الدكتور لفران ان هذه الجراثيم موجودة في دم كل المبتلين بالحمى الملارية لا تراها في سواهم وانها اذا توارت لسبب من الاسباب تماثل صاحبها الى الصحة

وهنا يوقفنا القارئ فيقول : عرفنا علة البطاحي ولكن هل يتولد هذا الجرثوم في جسم الانسان او يسري اليه من الخارج ومن هو ناقل هذا الضيف الثقيل

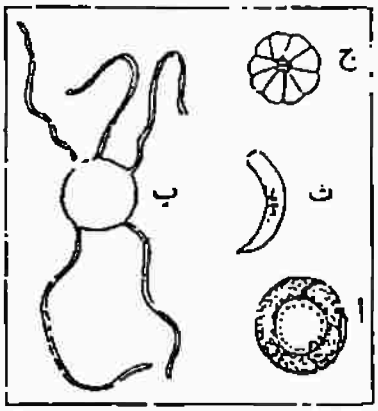

نجيب ان جرثوم الحمى الملارية موجود مباشرة في المستنقعات والامكنة الرطبة والبطائح المنخفضة الا انه لا يصيب المرء باذى اذا استنشق الانسان هواء تلك المستنقعات ما لم يتوسط بين دم الانسان وتلك الميكروبات الوبيئة وسيط مشؤوم . وما هذا الوسيط الا البعوض فانه كما سبق القول هو ناقل الجراثيم الكروية ب ، السوطية ث ، الهلالية ج الوردية العدوى الى جسم الانسان الصحيح . والجرثوم ينشأ فيه اما من امتصاصه اياه من المستنقعات توًا ومعلوم ان البعوض يجعل بيضه في الماء وفيه يثمر ويتحول الى شبه عصيات صغيرة ثم تنشأ له اجنحة فيطير . واما بان يرشف البعوض دم رجل اصيب بالبطاحي فيبتلع معه اصل المرض ويحط على جسم سليم فينفث فيه جرثومة الداء

وان شئت ان تتبع البعوض لترى باي طريقة ينفذ فينا هذا السم القتال اشرت اليك ان تقرب اليه يدك اليسرى ليمتص دمها بينما تأخذ نظارة بيدك اليمنى وتراقب حركاته وهو يتجشم مرعاه الخصيب ويشرب دمك من مجاريه فان اصابك بعض الالم فاصبر عليه اجرة لما تستفيده من رصد حركاته

فأوّل ما يفعل البعوض اذا حط على جلدك ان يُخرج من خرطومهِ ابرةً غاية في الدقة يجسُّ بها اربعة او خمسة أمكنة من سوامهِ ليتعرَّف أيها أليق بنايتهِ واسهل لضربة حسامهِ فلا يلبث ان يفضّل بينها موضعاً فيزلهُ بمبضعهِ كاحذق الجرَّاحين

واذا صبرت على هذا الالم الخفيف رأيت ابرة البعوض تتقوَّس وتنشب في اللحم الى ان يكاد رأس الهامَّة يمس الجلد. ثم ينفث الحيوان من لعابهِ نقطة صغيرة فيجريها الى الجرح ليمنع تجمُّد الدم ويتمكن من امتصاصهِ هنيئاً مريئاً. وهذا اللعاب من نفس تركيبهِ هو سم موذٍ فاذا اتصل بالدم شعر الانسان بحكَّة والتهاب في مكان لسع البعوض

ولكن هذه النفثة السامَّة وما كان فيها ايضاً جرثومة الحمَّى الملاريَّة فتمتزج بالدم فيصبح الشرُّ شرَّين شرٌّ خفيف وهو الوجع الناجم عن لسع البعوضة وشرّ اعظم وهو التسمُّم بسمّ البطاحي. واذا دخل العدوّ في دم الانسان حدَّث عن نكباتهِ ولا حرج. فان جرثوم الداء يجري الى العروق ويتكاثر فيها ولا يلبث المصاب ان يشعر بنوبات الحمَّى

بيد انهُ ليست كلّ ضروب البعوض ناقلةً لباشلوس حُمَّى المستنقعات وانما البعض منها فقط يأتي بهذه السيئة. ولن سألتَ وهل يوجد سبيل الى معرفة الجاني. قلتُ نعم وقد سبق الدكتور جيُّود وذكر انَّ اسم الصنف المؤذي يعرف عند العامَّة بابي قاس. اما بلسان العلم فيُسمَّى انوفالس (anopheles) الَّا انَّ وصف خواصهِ يؤدّي بنا الى الاطالة فنكتفي بذكر خاصتين يسهل على القارئ ان يميز بهما ناقل العدوى من غيره: الاولى ان النواميس المُعدية لا يُسمع لها طنين كاخواتها المعروفة فلا بأس منها اذن. والثانية انَّ البعوضة المألوفة اذا حطَّت على حائط او غير ذلك كان جسمها على شكل عمودي بالنسبة الى الحائط بخلاف المُعدية فانَّ جسمها يكون على خطّ موازٍ للحائط. ومما ثبت ايضاً ان الصنف الوبائي من البعوض لا يلسع كلُّهُ بل اناثهُ فقط دون الذكور. ولعلَّ الاناث تحتاج الى الدم البشري لنقف بيضها الذي لا يقل كل مرَّة عن ٢٠٠ بيضة تجعلها البعوضة على وجه الماء. ولولا عناية الله الذي يسَّط عليها الوفا من الاعداء كالطيور والاسماك لَما عددها بالتوالد بعد أيام قليلة غوًّا غريباً فاصبحت كذرَّات الهواء

(الطرائق لاتقاء الوباء) بقي علينا بعد وصف العدوّ الجاني وكيفيَّة انتقال

جراثيم الداء الينا ان نبيّن الوسائط لاتقاء العدوى. وليس لذلك طريقة اولى من معاكسة هذا العدوّ وابطال مساعيه وذلك باتخاذ الذرائع الواقية من البعوض. والبعوض يمكن التصدّي له اما بان يُمنع نقفهُ وذلك بان تُزال الاحواض المجاورة للبيوت وتجفّف المستنقعات والمياه الراكدة لانّ البعوض لا ينقف الّا في الماء الراكد وتُزرع الاشجار التي من شأنها اصلاح الهواء كالاوكاليتوس. واما باتلاف فراخ البعوض بعد نقفهِ اذا لم يمكن ازالة الاحواض فيُسلّط عليهِ السمك الذي ياكلهُ اكلًا ذريعًا. واذا كانت الاحواض قليلة الاتساع امكن قتل صغار البعوض فيها بصبّ شيء من البترول او من القطران على وجهها فيستنشقهما دودُ البعوض ويهلك

اما البعوض التامّ البنية فالوقاية من لسعهِ سهلة. وذلك انّ اكثر ما يؤذينا لسعهُ مدّة الليل فاذا أُحيط الفراش بناموسيّات وكان ناعمة النسيج خاب املهُ ولم يمكنهُ ان يتوصّل الى فريستهِ

والدليل على انّ الناموسيّات كافية للوقاية من البطاحيّ بدفعها اذى النواميس انّ الفعلة الذين اشتغلوا في الصيف الماضي في ترميم جسر نهر الكلب أُصيبوا كلهم بالحمّى الملاريّة لانهم كانوا ينامون معرّضين للسعات البعوض لا يسترهم شيء من وخزها بخلاف المهندسين الذين نجوا جميعًا من هذه الآفة لانهم كانوا ينامون والكلّل تصونهم من شرّ هذا الهمّج. فلا يخف اذن اصحابُ الاملاك المربوءة بالحمّيات ان يلازموا اراضيهم فلا بأس عليهم من عدواها بشرط ان يتّقوا أذى البعوض

اما الذين دهمتهم الحمّى الملاريّة فلا نعرف لمعالجة دائهم دواء احسن من الكينا تُعطى لهم بكميّات واوقات مختلفة على حكم الطبيب

والكينا لا تُعطى فقط عند انقطاع الحمّى بل اذا اطبقت ايضًا على العليل ولزمت جسمهُ فانّ المداواة بها حينئذٍ امرٌ محتوم. ولو ظنّ البعض انّ في ذلك ضررًا يزعمون « انّ الكينا تحرق المريض » لانّهُ على قولهم « الكينا حامية » وان سألنا بان « الكينا حامية » افلا يعلمون انّ الحديد يُقلع ولا يُغلب العدوّ الّا بعدوّ من جنسهِ او كقول المثل الدارج « لا يشيل المرّ الّا المرّ منهُ »

وعلى كل حال فليعلم الجمهور انّ الكينا لا بأس منها ويجوز تلافي الحمّى بها قبل وقوعها لتنشيط الجسم وتقويتهِ